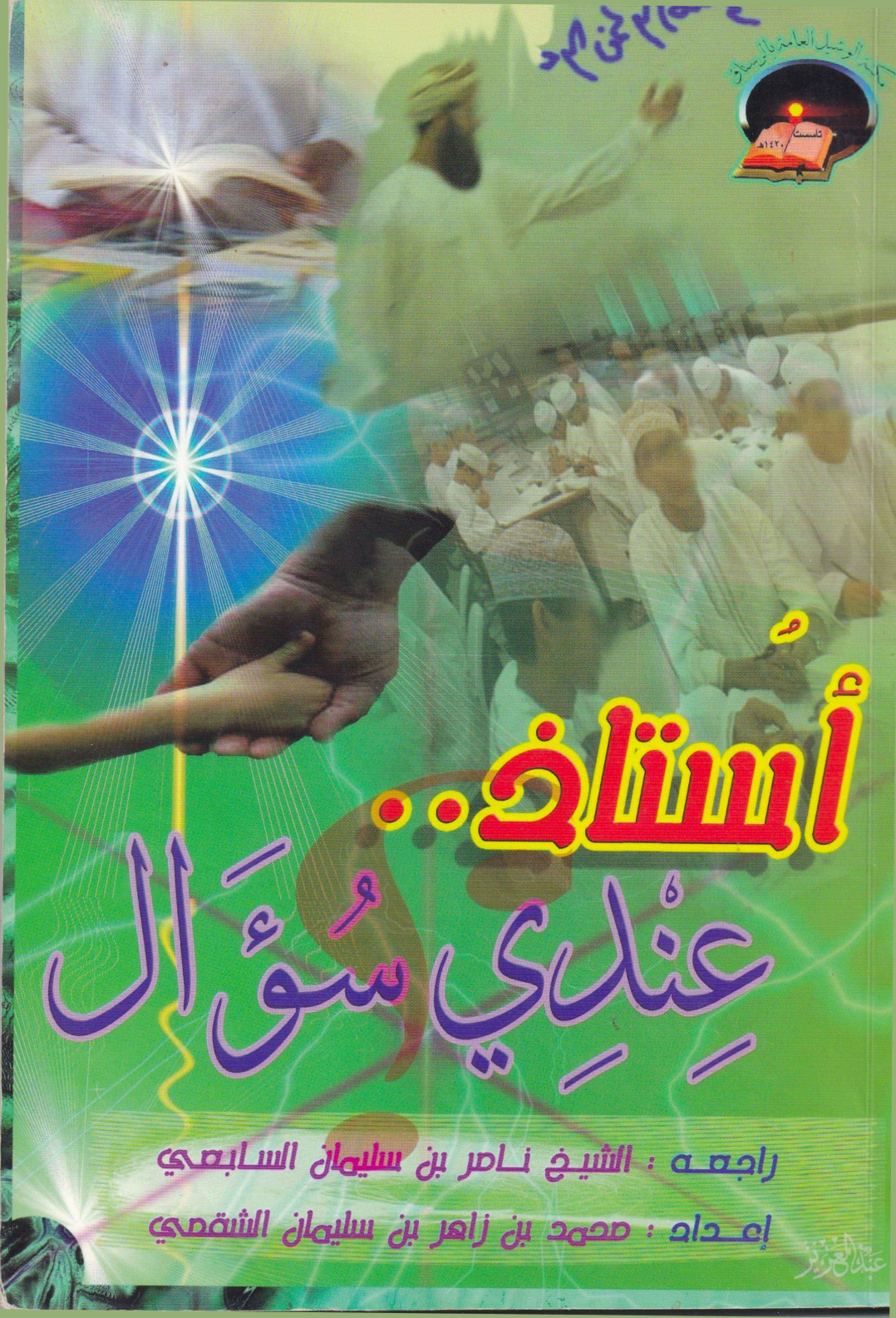

أستاذ.. عندي سؤال

راجعه : الشيخ ناصر بن سليمان السابعي

إعداد : محمد بن زاهر بن سليمان الشقصي

عِنْدِي سُؤَال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي اصطفى لعباده الدين فوحد به بين فئات المؤمنين وألف بنظامه بين قلوب المخلصين ، سبحانه هو الواحد في ذاته المتقدس في صفاته المتعالي في كبريائه ، الخالق لما في أرضه وسمائه ، الصادق في الوعد والوعيد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وصفوته من رسله ﷺ ...

.. كانت ساعات اليوم تمر بسرعة .. وجاء الليل وحانت صلاة العشاء فذهب أبو محمد إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة .. وبعد الانتهاء من أداء الصلاة ...

...عاد أبو محمد إلى داره يحث الخطى للجلوس إلى أهله وأولاده ... وبعد لحظات من الجلوس مع الأولاد والحديث معهم جعل يلتفت يمينا وشمالا فلم ير ولده محمداً يجلس بينهم كعادته .

أبو محمد : عجباً !! أين محمد هذه الليلة ؟!

أم محمد : هو جالس في غرفته .. يطالع بعض الكتب .. لا شك أنه يبحث عن شيء مهم .. !

أبو محمد : ألم يُنْهِ الامتحانات منذ أسبوع !!

أم محمد : بلى .. ولكنه عاد اليوم بعد صلاة العشاء محتاراً شارد الذهن ، وكأن شيئاً يشغل باله ، فاتجه إلى المكتبة مباشرة وأخذ بعض الكتب ، واتجه إلى غرفته وطلب مني أن لا يزعجه أحد .

قام الأب من مجلسه واتجه بخطى خفيفة نحو غرفة محمد ... فتح الباب في هدوء ثم أخذ يتحمحم لعله يلفت انتباه ابنه ثم دخل الغرفة وجعل يتأمل دون أن يحدث صوتا .. يتأمل ذلك الفتى الذي كان قد انكب على الكتب يقرأها بعناية شديدة .

❁❁❁

تقدم أبو محمد من ولده .. ووضع يده على رأسه وسلم عليه ثم نظر في وجهه الذي كان يبدو عليه الحيرة ..

الأب : لا أدري أي شيء عاد بك إلى الكتب وأنت قبل أيام تقول إنك قد مللت من قراءة الكتب وكرهت حتى رؤيتها .

محمد : معاذ الله يا أبي .. لقد قلت ذلك الكلام بسبب الإرهاق من عناء الامتحانات .. ولكن يا أبي كنت أتابع إحدى قنوات التلفزيون عند زميلي حمزة وظهرت بها محاضرة وجلسنا نستمع للمحاضر مع بعض الإخوة الذين لا أعرفهم جميعهم وكانت المحاضرة عن الإيمان بالله ومعرفته ...

الأب : مقاطعاً .. ثم ماذا ؟

محمد : لقد بدأ المحاضر يتحدث عن صفات الله .. وذكر أن الله سميع بصير عليم .. الخ ... ثم بدأ يفسر بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن صفات الله ...

ثم قال : بأن لله قدمٌ ليس كقدمنا .. ثم اثبت لله العين واليدين .. وأخبرنا: أن الله يجلس على العرش .. وأن عرش الله في السماء .. وأنه ينزل ويصعد .. وأطال الحديث حتى ظننت أن لله جسماً كأجسامنا نحن البشر ..!!..

ومع هذا يا أبي كان يستدل على كل فقرة بآية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله ﷺ.. وقال إن جميع تلك الصفات لا تشبه مخلوقاته .

وبعد أن انتهت المحاضرة وتناولنا وجبة العشاء خرجت مذهولا من بيت زميلي ..

لا أدري من أصدق أأصدق قول ذلك المحاضر وما ساقه من أدلة ؟ .. أم أصدق خطيب الجمعة الذي سمعته أكثر من مرة يخطب ويقرأ علينا قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (١١) الشورى .

كان محمد يتحدث في انفعال وبلهجة حزينة ..

ثم ارتمى محمد على كرسي .. وهو في أشد الانفعال وهو يقول:

- لقد صرت لا أعرف الله .. لقد صرت لا أعرف ربي .. أحقا يا أبي أن الله كما يقولون .. ؟!! .

- ربَّت أبو محمد على كتف ولده ، وسالت دمعتان من عينيه عبرَّ بهما عن المرارة التي كان يتجرعها أثناء حديث ولده .. وجعل يقول لولده :

- خفف من روعك يا ولدي .. تعالى الله عما يقول الجاهلون .. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨) الصافات ..

اجلس يا ولدي .. فلعلي بمعرفتي القاصرة .. أدلك على ما يوافق فطرتك السليمة .. ويوضح لك بعض هذه الشُبه ..

- جلس محمد وهو ينظر إلى والده في ثقة أنه سيدله إلى طريق الرشاد ..

أبو محمد : يا بني .. إن مثل هذه الأفكار دخيلة على الإسلام.

ولكن يا بني .. ما سألت عنه يحتاج إلى مدرس يعرف هذه الشُبه وكيف يجيب عنها .

محمد : دلني يا أبي على هذا المدرس ، لكي اذهب إليه وأطلب العلم منه وأسأله عن كل ما سمعته في المحاضرة .

أبو محمد : نعم يا بني .. لقد بلغني أن هناك مراكز صيفية في القرى المجاورة تفتح أبوابها في بداية كل عطلة صيفية ولا شك أن هناك فيها من المدرسين من يدلك إلى طريق الحق ويجيب عن كل ما يدور بخاطرك من أسئلة واستفسارات .

محمد : إذاً .. فمتى أذهب إلى هذه المراكز يا أبي ؟ .. إني لن أشعر بالراحة حتى أعرف الله حق معرفته .

أبو محمد : نَم هذه الليلة وغدا إن شاء الله سنذهب معا إلى القرية المجاورة لأسجلك بالمركز الصيفي .. إن شاء الله.

... ذهب محمد وأبوه في صباح اليوم التالي للتسجيل بالمركز الصيفي في القرية المجاورة وهو لا يكاد يملك نفسه من الفرحة .. وأكمل التسجيل في احد المراكز الصيفية ذات السكن الداخلي .. وبعد أيام بدأت الدراسة .

❁❁❁

توجه محمد إلى فصله .. لقد التقى بالأساتذة والزملاء .. ورأى الكثير من الوجوه .. التي لمس فيها الخير والحنو ..

ولكنه كان يبحث عن ضالته المنشودة .. لقد كان يبحث عن مدرس العقيدة .. فعشرات الأسئلة كانت تدور في رأسه .

وأشرق النور وتحقق المراد .. وجاءت حصة العقيدة .. كان أحد المدرسين يدخل الفصل الذي يجلس فيه محمد ..

المدرس : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أهلا بكم يا أبنائي الطلاب في مركزكم الصيفي .. سرني أن أكون مدرسا لكم في العقيدة الإسلامية .. وقبل أن ندخل في دروس العقيدة ..أود أن أحدثكم عن أهمية هذه المادة .

كان محمد يركز الانتباه لما يقوله المدرس .. ويرهف سمعه مخافة أن يفوته شيء من كلامه ، ليقيد الأشياء المهمة في دفتر العقيدة .

المدرس : يا أبنائي إن هذه المادة تقودنا إلى معرفة الله حق معرفته .. و إن معرفته سبحانه وتعالى هي أول ما افترضه الله على عباده العقلاء البالغين .

.. فمعرفة الله تعالى أول المفترضات وأول العبادات وأفضلها فقد جاء في الجامع الصحيح .. أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد فوجد أصحابه عزينَ (١) يتذاكرون فنون العلم ، فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرؤون القرآن فجلس إليهم فقال : « بهذا أرسلني ربي » ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلمون في الحلال والحرام ، فجلس إليهم ولم يقل شيئا ، ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه ، فجلس إليهم كثيرا ، ثم قال « بهذا أمرني ربي » قال جابر : لأن التوحيد معرفة الله عز وجل ومن لا يعرف توحيد الله فليس بمؤمن . (الجامع الصحيح) حديث رقم (٢٨)

رفع محمد يده طالبا الإذن بالسؤال . ...

محمد : ولكن كيف يجب أن نعرف الله ؟

---

(١) متحلقين.

المدرس : أحسنت على هذا السؤال ..

إن معرفة الله تكون « بأن تتيقن أن لا مثل له ولا شبيه وأن تعرفه أنه الإله الواحد الأول الآخر الظاهر الباطن ، ليس له كفء ولا مثيل »

ثم تابع المعلم حديثه قائلا : والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ (١١) الشورى .. وهكذا يجب علينا أن نعرف صفات الله عز وجل .

محمد : معذرة يا أستاذي .. هل تسمح لي بسؤال آخر .

المدرس : تفضل ..

محمد : ولكن ما طريقنا إلى معرفة الله ومعرفة صفاته؟

المدرس :أحسنت يا محمد هذا هو موضوع درسنا في الحصة القادمة إن شاء الله .

❁❁❁

أشرق فجر اليوم الثاني وخرج الجميع لتأدية فريضة صلاة الفجر وكان بعد الصلاة يوميا تقام حلقة للقرآن الكريم وامتزجوا بروح الأنس والحب وحفتهم ملائكة الرحمة.. وبعدها تناول وجبة الإفطار ،... ثم اتجهوا إلى صفوفهم وبدأ اليوم الدراسي ..

ودخل مدرس العقيدة إلى طلابه والابتسامة تملأ ثغره ، فألقى التحية وتبادل معهم بعض الأسئلة عن درس أمس .

المدرس : هل فيكم من فكر يا أبنائي في إجابة سؤال زميلكم ... الفتى

الطلبة : محمد ، يا أستاذ .

المدرس : أي نعم محمد وكان يسأل بالأمس عن طريقنا إلى معرفة الله ؟

رفع عليّ يده ، فأشار إليه المدرس أن يجيب .

علي : نعم يا أستاذي .. فقد فكرت كثيرا في إجابة السؤال .. فلم أجد طريقاً إلى معرفة الله يمكن لكل الناس استخدامها - العالم والمتعلم والعامي - إلا التفكر .

المدرس : وماذا تعني بالتفكر يا علي ؟

علي : أعني يا أستاذي أن يستخدم الإنسان عقله في التفكر في المخلوقات من أرض وسماوات وما فيهن ، فإذا عرف أن وجود مثل هذه المخلوقات يحتاج إلى فاعل دل ذلك على وجود الله سبحانه وتعالى .

المدرس : أحسنت .. أحسنت يا علي .

وإن مما يدل على أن الله يريد منا أن نستخدم عقولنا في معرفته أننا نجده يقول في كتابه العزيز .. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٢٠ الغاشية.

محمد : ولكنه يقول (أفلا ينظرون) ولم يقل (أفلا يتفكرون) .

المدرس : أشكرك يا محمد على هذه الملاحظة .

ثم التفت المدرس إلى الطلاب قائلا : يا أبنائي .. هل كانت العرب ترى الإبل (**الجمال**) وينظرون إليها بأعينهم .

زيد : نعم يا أستاذي .. فكيف لا ينظرون إليها .. وهي رفيق أسفارهم ، ورواحل تجارتهم ومحط عنايتهم .

المدرس : فمن هذا نعرف أن الله لا يمكن أن يدعوهم إلى فعل شيء هم يمارسونه ويرونه دائما ، وأن المقصود بالنظر هو التفكر .. كأنه يقول : أفلا تتفكرون .

وهناك يا أبنائي كثير من الآيات يطلق فيها لفظ النظر والمقصود به التفكر .

مثل قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ٥« الطارق ... أي فليتفكر من أي شيء كان بداية خلقه ... وقال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾..

❁❁❁

وبعد مضي اليوم الدراسي ، كان محمد قد أضاف إلى حصيلته العلمية معلومات ثمينة .

❁❁❁

بينما كان الطلاب يتجهزون للذهاب إلى الفصول ، سبقهم مدرس العقيدة إلى الفصل .. وصنع بعض الرسمات الجميلة على السبورة.

فلما دخل الطلاب إلى الفصل .. جعل عدد منهم يتأمل تلك الرسمات في إعجاب شديد .

محمد : وهو ينظر إلى علي : من رسم هذه الرسمات الجميلة يا علي ؟

علي : لست أدري من رسمها .. لعله أحد الزملاء .

وجعل الطلاب يسأل بعضهم بعضا لكن الطلاب جميعهم أنكروا أن يكونوا قد صنعوا تلك الرسومات .

محمد : لا بد أن فاعلا فعل هذا !!

علي : نعم يا محمد .. فالعدم لا يصنع شيئاً .

زيد : يبدو أن صاحب هذه الرسوم لديه القدرة على تشكيل هذه الرسوم .

عمار : بل إن هذه الدقة في التركيب وتنسيق الألوان تدل على أنه عالم في الرسم .

كان المدرس يستمع إلى هذا الحوار من مكان قريب لم يشعر الطلاب بوجوده .. فلما اكتمل الحوار دخل عليهم .

المدرس :أحسنتم يا أبنائي فيما توصلتم إليه من آراء حول من رسم هذه الرسوم .. ولا بد أيضا أن يكون موجودا .. لأن الفعل لا يكون إلا من فاعل والفاعل لا يكون إلا قادراً .. فهل لي أن اسأل .. هل يمكن أن يكون الفاعل القادر ميتا أو جمادا ؟

محمد : لا بد أن يكون حياً

المدرس : وهل يمكن أن يكون صانع هذه اللوحة جاهلا بفن الرسم ؟

عبدالله :إن ما فيها من دقة وإحكام يدل على أنه عالم بفن الرسم .

المدرس : إذن تعالوا معي يا أبنائي في رحلة قصيرة إلى خارج المركز لننظر فيها إلى بعض مخلوقات الله .. لتدلنا على صفات الله .

وعلى هضبة مرتفعة وقف مدرس العقيدة مع طلابه ليستمتعوا بالنظر إلى تلك المناظر الطبيعية الجميلة حيث كانت تحيط النخيل والمزروعات بهذه الهضبة .

المدرس : أترون يا أبنائي هذه الشمس الساطعة إنها تغذي النباتات الموجودة في هذه السهول بمادة اليخضور التي تبني بها أجسادها ، ونستخدم نحن منتوجاتها لنبقى أحياء كما تستخدم الحيوانات أوراقها وعيدانها لتبقى حية.. إن كل شيء في هذا الكون ينطق بأن الله قادر .. عالم .. حي .. موجود .. وكل شيء في هذا الكون يشهد بوحدانيته - أي أنه خالق واحد .

وهذا التناسق في الخلق والإبداع في الصنع يدل على أن صانعه واحد ، فلو كان هناك أكثر من إله لفسدت السموات والأرض ، يقول تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢٢) الأنبياء، وقال جل وعلا : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(٩١) المؤمنون

محمد : إني اشعر وأنا أتفكر في مخلوقات الله أن كل شيء في هذا الوجود يحدثني عن عظمة الله ، فكل ما أراه أمامي صار يذكرني بوجود الله ووحدانيته وقدرته وعلمه .

المدرس : بعد هذا الدرس يا أبنائي عليكم أن تكثروا من التأمل والتفكر في مخلوقات الله ليزداد إيمانكم بالله سبحانه وتعالى فقد ورد في الأثر :

(تفكر ساعة خير من عبادة سنة) .

❁❁❁

كان الأُنس والراحة والاطمئنان يملئان قلب محمد ، فقد وجد في المركز إخواناً ملكوا عليه قلبه ، وآباءً غمروه بفيض حنانهم .. فهو لم يشعر بالغربة والبعد عن الأهل منذ وصوله إلى المركز.

.. لكن شبح ذلك المحاضر الذي سمعه في منزل زميله .. كان يشغل ذهنه ويزوره في أحلامه .. كانت كلماته وهو يصف الله لا زالت أصداؤها تضج في أعماقه .. فتزيده حباً في الإطلاع والبحث .. فقرر أن يطرح أسئلته على مدرس العقيدة متشوقا إلى سماع إجاباتها .

المدرس : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التلاميذ : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد أن كتب المدرس عنوان الدرس (ليس كمثله شيء) .. التفت إلى طلابه وقال :

- اسمعوني يا أبنائي .. لقد تحدثنا بالأمس عن بعض صفات بارئ هذا الكون - الله رب العالمين - قلنا بأنه موجود .. وأنه عالم .. وأنه قادر .. وأنه حي .. وقد يفكر البعض فيقول وكذا كل إنسان فينا .. موجود .. عالم .. قادر .. حي .

- وأريد أن أحدثكم في هذا اليوم عن الفرق بين إطلاق هذه الصفات علينا وإطلاقها على الله .. فليس هناك أدنى مشابهة بيننا وبين الله .. فمن منكم قد فكر في الفرق بين صفة الوجود عندما تطلق على الله وعلينا .

حسن : عندما أقول بأني موجود .. يعني أني كنت معدوما ثم وجدت .. أي هناك فترة من الزمان مرت ولم أكن فيها موجودا .. وأنه يمكن أن تأتي فترة من الزمن ثم أصير إلى عدم .

المدرس : **أحسنت .. أما عندما نطلق هذه الصفة على الله فمعنى ذلك أن الله موجود في الأزل ، أي لم يأتِ عليه زمان لم يكن موجودا ولا يأتي زمان فيكون غير موجود ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرِ..﴾** (٣) الحديد .. **نعم يا حسن هل تريد أن تضيف شيئا آخر ؟**

حسن : نعم يا أستاذي .

صفة العلم .. معناها في حق الإنسان أنه كان جاهلا ثم تعلم .. فاستحق هذه الصفة وأنه يمكن أن يُسلب منه هذا العلم فيصير جاهلا ، وكذلك يكون علمه محدودا .

المدرس : أحسنت .. أما علم الله يا أبنائي فهو علم لا يدخل معه جهلٌ في وقت من الأوقات .. فهو عالم بما كان في الماضي وبما سيكون في المستقبل وبما يكون في الحاضر ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩٢، المؤمنون

محمد : يا سبحان الله .. ما أقل وأحقر علمنا عند علم الله فما أصدقه من قائل جل وعلا : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾ ٨٥، الإسراء.. فما الفرق يا أستاذي بين **صفة القدرة** عندنا وعند الله ؟

المدرس :ان قدرتنا يا محمد قدرة محدودة .. فمن كان بالأمس قادراً يمكن أن يصبح عاجزا .. كما هو حال الإنسان ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾٥٤(الروم .. قدرتنا أوجدت فينا .. ويمكن أن تسلب عنا في أي وقت وهي أيضا محدودة ..

أما قدرة الله فهي تلك القدرة التي لا تعجز عن إيجاد شيء ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾٢٨٤(البقرة .. هو الذي يقول للشيء كن فيكون .. قدرة تُوجدُ الأشياء من العدم بعد إذ لم تكن لا يعتريها ضعف ولا فتور فسبحان الله ما أعظمه .

سعيد : قرأت يا أستاذ في بعض الكتب أن الله يوصف بأنه قديم ، ونحن نصف الأشياء بأنها قديمة .. فماذا تعني هذه الصفة في حق الله تعالى ؟ ..

المدرس : يعني يا أبنائي أنه الذي لا أول لوجوده .. أما إذا أطلقنا هذه الصفة على بعض الأشياء فهي تعني أن وجوده بدأ في زمن ما .. ثم مضى عليه فترة زمنية .

وفي هذه اللحظة كان المسؤول عن الوقت قد أعلن عن انتهاء الحصة .. فجمع مدرس العقيدة أدواته وودع طلابه وأراد الخروج .

.. ولكن محمد أستوقفه وقال : يا أستاذي .. ولكن هناك بعض الآيات والأحاديث يفهم منها المشابهة بيننا وبين الله .

المدرس : معذرة يا محمد الوقت قد انتهى .. ولكن أعدكم أن يكون حديثنا في الحصة القادمة عن هذا الموضوع إن شاء الله .

❁❁❁

.. لم تكن أم محمد قد اعتادت أن تفارق ولدها منذ كان طفلا صغيرا .. ولذلك اشتد شوقها إليه .

.. وبعد أن عاد أبو محمد إلى الدار .. أقبلت أم محمد عليه ..

أم محمد : يا أبا محمد .. إني لم أعد أستطيع أن أكتم شوقي إلى محمد .. فقد صرت لا أكف عن التفكير فيه .. لقد اشتد شوقي إليه

أبو محمد : صبراً يا أم محمد .. سأذهب يوم الأربعاء إلى المركز وأصطحبه معي إليك لتريه وتطمئني عليه .

وجاء يوم الأربعاء وبعد انتهاء أبي محمد من عمله ذهب إلى المركز ليأخذ ولده محمد ليقضي إجازة الأسبوع مع والديه .

.. وبعد انتهاء الحصة الرابعة من يوم الأربعاء .. كان والد محمد ينتظر ولده على باب المركز بعد أن استأذن له .

.. ووصل محمد ووالده البيت ليدخل على أمه السرور برؤيته والجلوس معها .

وفي صباح يوم الخميس .. خرج محمد لشراء بعض حاجاته .. وبينما هو ماض في طريقه سمع صوتا يناديه : يا محمد .. يا محمد .. التفت محمد إلى صاحب الصوت وأقبل نحوه .

محمد : أهلا بك يا عبدالرحمن .. كيف حالك ؟

عبدالرحمن : بخير والحمد لله .. عندما رأيتك في بيت زميلنا حمزة وشاهدنا المحاضرة في تلك الليلة ؛ لاحظت عليك أنك خرجت بوجه غير الوجه الذي دخلت به .

محمد : ماذا تقصد يا أخي ؟!

عبدالرحمن :أقصد .. كأن المحاضرة التي شاهدناها معا لم تعجبك.

محمد : وهل أعجبتك يا أخي .. وفيها من تشبيه الله بخلقه ما تنكره الفطرة السليمة .. ويتعارض مع القرآن والسنة.

عبدالرحمن : ولكن يا محمد يجب أن نسلِّم بما ورد في القرآن والسنة .. بدون بحث ولا نقاش .. فلا اعتراض على الله فيما وصف به نفسه .

محمد : بعد أن فكر قليلا فيما قال عبد الرحمن :

يا عبد الرحمن : علينا أن لا نأخذ بظواهر القرآن .. لو أن كل من قرأ القرآن أصبح عالما بمعانيه لما جعل الله للعلماء تلك المرتبة الرفيعة .. ولا يستوي الناس في درجة العلم .. فمعظم من في قريتنا يقرأون القرآن غير أنهم ليسوا علماء ... ويدل على ذلك قول الله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (٧، آل عمران.

عبد الرحمن : إذاً فتفضل معي لنبحث سويا ونتناقش في الموضوع.

محمد معتذراً : اعذرني يا أخي فلدي عمل مهم ولكن ربما نلتقي في وقت آخر .

وتوادعا .. ومضى كل إلى حال سبيله .!

.. ولكن هذا اللقاء كان دافعا لمحمد ومجددا لعزمه ونشاطه .. فقد أدرك أن تلك الأفكار صارت تؤثر على كثير من الناس الذين لا يستخدمون عقولهم للتفكير والوصول إلى الحقيقة الضائعة .

كان محمد يقول في نفسه : إن تلك المحاضرة .. قد فتحت عيني على أمور كثيرة لم يكن يخطر ببالي أن أخوض فيها ..

ورجع محمد إلى البيت وقضى إجازة الأسبوع بين والديه وإخوته وهو في شوق للعودة إلى المركز .

❁❁❁

.. لم يستطيع محمد أن يبقى في البيت إلى اليوم التالي فقد اشتاق إلى أساتذته وزملائه في المركز الصيفي .. فجعل الليل وقتاً للسفر ..

و في صباح السبت كان من أول الداخلين إلى الفصل .. فسلم على زملائه وكأنه غاب عنهم شهراً كاملا .. فقد أشتد شوقه إليهم .. واشتد شوقهم إليه .

محمد : وهو يوجه الخطاب إلى زملائه :

لم أر مدرس العقيدة اليوم .. هل سيحضر اليوم ؟

زيد : لقد علمت أنه كان بالأمس متعبا .. نسأل الله أن يشفيه .. ما رأيكم أن نذهب لزيارته بعد أن ننتهي من الدراسة ..

.. ولكن دخول مدرس العقيدة قطع عليهم الحديث .. فشكرهم على مشاعرهم الطيبة نحوه .

محمد : أستاذي ألم تكن وعدتنا في آخر حصة أن تشرح لنا الآيات التي يتوهم القارئ منها المشابهة بيننا وبين الله عز وجل ؟

المدرس : كم أنت مهتم بدروس العقيدة يا محمد ؟! .. ثم التفت المدرس إلى جميع الطلاب قائلا :

يا أبنائي .. إننا قبل أن ندخل في شرح هذه الآيات لا بد أن نضع بين أيدينا قواعد مهمة .. تكون هي طريقنا لفهم معاني تلك الآيات .

علي : وما هي هذه القواعد ؟

المدرس: **أول قاعدة** هي : أن الطريق الصحيح للوصول إلى الحقيقة هو الفهم الصحيح لكتاب الله ومعرفة معانيه .

القاعدة الثانية : هي أن الله جعل قاعدة التوحيد في مدار قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ (١١) الشورى) .. فإذا أتى شيء من الآيات والأحاديث ما يفهم منه خلاف هذه الآية .. علمنا أن له معنى آخر يتناسب مع مدلول هذه الآية وإلا فسيكون القرآن متناقضاً .. وهذا ما لا يجوز أن يوصف به القرآن .

القاعدة الثالثة يا أبنائي .. أن القرآن الذي نتلوه عربي ، يقول تعالى :﴿ قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢٨ الزمر لذلك فإننا إذا سمعنا في القرآن ما يشتبه علينا معناه .. بحثنا عن معناه في اللغة العربية التي نزل بها القرآن .. فعندما نسمع قول الله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ٢٤ الإسراء فلا يأتي أحد فيقول أن هذه الآية دليل على أن الإنسان في الماضي كان له جناح مثل الطيور ، وأن الله أمره أن يخفضه لوالديه.

علي : إذا فما معنى هذه الآية يا أستاذي ؟

المدرس : إنه أمرٌ من الله يا أبنائي للإنسان بالتواضع لوالديه فشبّه الإنسان في خضوعه لهما بالطائر حين يهبط فيمد أجنحته في ذل واستسلام ... وكذلك أيضا قول الله تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٨ الحجر لا يراد منه ظاهر هذا اللفظ وهو إثبات جناح لسيدنا محمد ﷺ وإنما الحض على الرأفة والرحمة بهم.

وسأضع لكم مثالا آخر : ألم تسمعوا يا أبنائي عن قصة يوسف عليه السلام ؟ .. فعندما عاد إخوته إلى أبيهم وقد أخذ يوسف أخاه الثاني منهم ، خافوا أن لا يصدقهم أبوهم بعدما فرّطوا في يوسف في الماضي .

.. ثم أخذ منهم أخوهم الثاني حينها قالوا لأبيهم : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون﴾ (يوسف ٨٢)..

فهل كانت القرية والعير - التي هي الجمال - تتكلم وتسأل وتجيب يا أبنائي ؟ .. لا شك أن هذا محال .

إذاً يا أبنائي .. إنما قصد إخوة يوسف أن يسأل أبوهم أهل القرية وأصحاب القافلة وهم التجار الذين كانوا بصحبتهم

.. فهل فهمتم يا أبنائي هذه القاعدة ؟

الطلاب : نعم يا أستاذ .

... بينما كان محمد يتلو كتاب الله تعالى بعد أن صلى المغرب ، ويرتل آياته ويتأمل في معانيه وقد انشرح صدره .. توقف عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف ٥٤).

ففكر طويلا في معنى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .. وقال غدا إن شاء الله ..سوف أجد من أستاذ العقيدة ما يحل لي معنى هذه الآية ..

.. وأتى الصباح ليحمل معه النور وما يذهب الغموض .. ولم يكد مدرس مادة العقيدة يستقر في الفصل حتى كان محمد يطرح عليه السؤال عن تفسير قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .

المدرس : يا أبنائي لقد ذكرنا في درس الأمس أن الله ليس كمثله شيء وإذا كان الأمر كذلك فإن الله لا يحويه مكان .

فإنه إذا كان لله سبحانه مكان .. فقد شابَهَنا في احتياجه إلى المكان .. وأنتم تعلمون يا أبنائي أن من يحتاج إلى المكان لا يكون إلا جسما ..

والله لا يحتاج إلى المكان لأنه ليس بجسم .. سبحان الله عما يصفون .

محمد : ولكن يا أستاذ ما معنى أنه استوى على العرش ؟!

المدرس : معنى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.. فإن معنى **الاستواء** هو الاستيلاء .. وهو إجراء أمر الله ونهيه وتدبيره وقهره في السموات والأرض ، فالله لما خلق السموات والأرض أجرى فيهما أمره و نهيه .. فهذا هو معنى **الاستواء** .

كقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾(١١ فصلت.. فاستواؤه إلى السماء بالملك والتدبير .

وكما قال **الإمام نور الدين السالمي رحمه الله** في منظومة غاية المراد عن الاستواء :

وإنما الاستوا ملك ومقدرة ... له على كلها استولى وقد عدلا

كما يقال استوى سلطانهم فعلا .. على البلاد فحاز السهل والجبلا

.. وكما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

يعني أنه استولى على العراق ، وقهر أهلها ؛ لأن بشرا لم يقعد على العراق كلها ...

.. إذاً أراد الله **بالاستواء** : الإخبار عن عظمته وقدرته : أنه فوق الأشياء بالقهر والسلطان ، والقدرة والملك .

فيكون معنى الآية .. أن الله أجرى أمره ونهيه في ملكه .

محمد : جزاك الله خيرا يا أستاذي .. وأستغفر الله من كل ما كان قد وسوس لي به الشيطان .

المدرس : يا أبنائي .. إن الله لا يحتاج إلى المكان .. فهو خالق المكان وإنما الذي يحتاج إلى المكان هي الأجسام .. والله ليس بجسم .. فسبحان من كان قبل المكان ، وسبحان من هو كائن ولا يحويه مكان.

ثم ودع مدرس العقيدة طلابه ونظراتهم تتبعه في حب وإعجاب وشكر .

❁❁❁

(إن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله سبحانه وتعالى ازداد حباً وشوقاً إلى عبادته) ..

كان هذا هو حال محمد فإنه لما أكمل مذاكراته بعد العشاء .. وتوجه جميع من في المركز إلى فراشهم للنوم .. جلس محمد في فراشه يفكر في نعم الله عليه .

كان يقول في نفسه : الحمد لله الذي دلني على هذا المركز وعلى معرفة هؤلاء الإخوان .. والله إن الله لذو نعم عظيمة عليَّ.

.. وقام من فراشه متوجها إلى مصلى المركز وقد قرر أن يصلي ركعتين شكرا لله على هذه النعم ..

وفي المصلى وقف محمد يصلي لله في خشوع ... فلما أكمل محمد صلاته .. رفع يديه إلى السماء يثني على الله ويدعو لنفسه وإخوانه .

فلم يشعر إلا بمدرس العقيدة وهو يجلس إلى جواره .

المدرس : هلا أشركتني في دعائك يا محمد ؟

محمد : أنا سعيد برؤيتك هنا يا أستاذ ... وكيف أنساك في دعائي يا أستاذي .. وأنت في كل يوم تهدي إليّ علما يُعرفني بحق ربي .

ولكن يا أستاذي .. لماذا نرفع أيدينا إلى السماء عند الدعاء ؟!

المدرس : لأن السماء يا محمد قِبلة للدعاء .. كما هي الكعبة بيت الله الحرام قِبلة للصلاة .

محمد : وما معنى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾(١٦ الملك.

المدرس : يا محمد .. إن الله لما كان يرسل ملائكته بعذابه من السماء .. خاطبنا بهذه الآية .. ومعناها أأمنتم مَنْ أمرهُ ونهيهُ وعذابُه في السماء كما قال الله تعالى في شأن بني إسرائيل ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء﴾ ١٦٢ الأعراف. .. وقال في قوم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ ١٦ فصلت وريح العذاب تأتي من جهة السماء .

محمد : إذا فما معنى قوله تعالى في سورة الفجر : ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾٢٢ الفجر

المدرس : معناه جاء أمر ربك .. وفي بعض الآيات التي يذكر فيها مجيئه يكون بمعنى جاء عذابه ، مثل قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ﴾ ٢١٠ البقرة.

ثم نظر الأستاذ إلى محمد في إشفاق وحنو ، وقال:

ألا ترى أن الوقت قد حان لكي تعود إلى فراشك .. فإنك بحاجة إلى الراحة لكي تنشط للقيام لأداء صلاة الفجر .

وشكر محمد أستاذه وعاد إلى فراشه في حركة خفيفة كي لا يؤذي أحداً من زملائه الذين كانوا في نومٍ عميق بعد يوم من التحصيل والدراسة .

.. بينما كان الطلاب ينتظرون وصول مدرس العقيدة .. إذا برئيس المركز يدخل مع مجموعة من الآباء الذين يتعاونون مع المركز الصيفي ويقدّمون له دعمهم .

وفي تلك اللحظات كان مدرس العقيدة يقف على باب الفصل .. فألقى التحية ودخل .

فجعل رئيس المركز يقول للتلاميذ : يا أبنائي إن لهؤلاء الآباء **أيادي سخية** على مركزنا هذا .. فهم يبذلون أموالهم لإعانتنا .. وقد أتوا لزيارتكم والإطلاع على أحوالكم .

.. فتقدم أحد الآباء وقال لرئيس المركز : يا أخي كل ما في المركز من أجهزة وأدوات وإمكانيات **بيدكم** وتحت تصرفكم ، ونحن نضع **أيدينا على أيديكم** .. فإن ما تقومون به من عمل في تربية هؤلاء الطلاب وتعليمهم لشيء عظيم .

شكر رئيس المركز الآباء.. ودعوا للطلاب بالتوفيق .. وانصرفوا.

❁❁❁

مدرس العقيدة :أتذكرون يا أبنائي عندما قلت لكم في حصة سابقة : إنه إذا رأينا في القرآن ما يشتبه علينا معناه فإننا نفسره على مقتضى معناه في اللغة العربية .

الطلاب : نعم يا أستاذ .. وقد فهمنا تلك القواعد التي أعطيتنا إياها فهما جيداً .

المدرس : أسمعتم يا أبنائي رئيس المركز وهو يتحدث بأن لهؤلاء الآباء **أيادي سخية** على هذا المركز ، فهل فهمتم ماذا يعني ؟

علي : يعني أن لهم فضلاً ونعمة على هذا المركز ، بما ينفقون عليه .

المدرس : إذاً ما معنى قول الله عز وجل : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ٦٤) المائدة .. بعد أن قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ٦٤) المائدة.

محمد : لقد قصد اليهود لعنهم الله بقولهم : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَة﴾ أنه بخيل .. فأجابهم الله بقوله :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي إن نعمه مبسوطة لعباده .

المدرس : أحسنت يا محمد .. ونفهم من ذلك أن الله ليس له عضوٌ يسمى اليد وإنما معنى الأيدي في هذه الآية النعمة .. هل فهمتم ؟

زيد : نعم يا أستاذ .. ولكن ما معنى قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾١) الملك ؟

المدرس : أحسنت يا زيد .. فهذا ما كنت أود توضيحه .. أما سمعتم يا أبنائي عندما جاء أبآؤكم لزيارتنا وقالوا لرئيس المركز أن كل ما في المركز بيدك فهل قصدوا أن كل ما في المركز مجموع في كف رئيس المركز ؟ .

محمد : إن هذا محال .. بل قصدوا أن كل ما في المركز تحت تصرفه .. يأمر فيه بما يشاء وينهي عمّا يشاء.

المدرس : إذاً فقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك ١) ؟ لا يعني أن لله عضواً يسمى اليد وإنما معناه أن كل ما في هذا الكون تحت تصرفه يأمر فيه بما يشاء .

وواصل الأستاذ الحديث قائلا :

وهناك يا أبنائي معنى آخر في اللغة من معاني اليد أما سمعتم ماذا قال الآباء لرئيس المركز عندما أرادوا أن يعبروا عن مناصرتهم ودعمهم لهذا المركز ..

أحمد : نعم .. لقد قالوا : ونحن نضع أيدينا على أيديكم .

المدرس : وهل كانت أيدينا مبسوطة تحت أيديهم ، وأيديهم مطروحة فوق أيدينا ؟ .

ضحك التلاميذ .. ووقف محمد فقال :

محمد : يا أستاذ .. إنهم إنما أرادوا أن يخبروا بأنهم ينصرونكم ويمدوكم بالمعونة وأنهم معكم .

المدرس : وهذا يا أبنائي هو ما أراد الله أن يقوله لرسوله وللمؤمنين حين قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١٠) الفتح وليس معنى ذلك أن لله عضواً يسمى اليد فالله سبحانه ليس بجسم .. والأعضاء خاصة بالأجسام .

ومن هذا الدرس نفهم أن اليد إذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى فإن لها معاني في اللغة غير هذه الأيدي فهل فهمتم ذلك يا أبنائي ؟

حسن : نعم .. نعم يا أستاذي .. فمن يتوقف عند هذه الآيات فلن يجد لها معنى يتناسب مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) الشورى .إلا أن تكون بمعنى **النعمة** .. أو بمعنى **القوة والقدرة** .. أو **العون والتأييد** .

المدرس :أحسنت وبارك الله فيك .

علي : سبحان الله !! كأن هؤلاء الزوار لم يأتوا إلا ليشرحوا لنا درس هذا اليوم .

المدرس : يا علي أنتم تركتم ما تحبون من اللعب والمرح وأتيتم لطلب العلم .. وإن العبد إذا أخلص عمله هيأ الله له من الخير فوق ما يتصور .. والآن أترككم في أمان الله .

❁❁❁

.. قاربت فترة النصف الأول من المركز على الانتهاء وسوف يعلن المركز عن وضع اختبار للطلبة .

..وبينما الطلاب في الفصل قبل دخول المدرس .. التفت محمد إلى زملائه وقال :

محمد : أتصدقون يا إخوتي أنه مضى من فترة الدراسة نصفها .. والله لكأنها مجرد ساعة منذ بدأ هذا المركز .

زيد : إني لم أعش منذ عرفت نفسي راحة كهذه الأيام .. ولكن ما هذه الآية المكتوبة على دفترك يا محمد ..

محمد : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ٨٥) الإسراء

زيد : سبحان الله ما أقل علم الإنسان .. حتى الروح التي هي سر حياته لا يستطيع أن يعرف ما هي ؟ .. ولا أن يراها أو يبصرها .

كان مدرس العقيدة قد دخل الفصل وسمع كلام زيد فقال بعد أن سلم على التلاميذ واستفتح الدرس :

المدرس : والعجيب يا زيد أن تسمع بعض الناس من يدعي بأنه سيرى الله سبحانه وهو لا يستطيع أن يرى بعض مخلوقاته .

محمد : وهل يمكن أن يقول بهذا القول أحد يا أستاذ ؟ .. وهو يعلم أن أحدنا لا يرى بعينه إلا ما كان جسما .. والله ليس بجسم.

المدرس : نعم يا محمد .. مع أن الله نفى عن نفسه إمكانية الرؤية وأخبر أنه لا تدركه الأبصار .. فقال عز وجل : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٠٣) الأنعام.. ومع ذلك هناك من يدعي هذه الدعوى !! .

عمار : يا أستاذي .. سمعنا بعضهم يقول إن هذه الآية تنفي الرؤية عن الله في الدنيا .. أما في الآخرة فقد قال الله ﴿(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢٣،القيامة

المدرس : اسمعني يا عمار .. إن الله سبحانه وتعالى ذكر في الآيات التي فيها قوله ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ مادحا نفسه ومعظما لذاته ثلاث صفات هي : نفي الولد عنه ، ونفي الزوجة ، وأنه لا تدركه الأبصار فإن الله تعالى قال : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣،الأنعام

فلو قلنا إنما أراد نفي الرؤية عنه في الدنيا دون الآخرة لجاز على الله أن يكون له في الآخرة ولد وصاحبة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ..

ثم إن كل ما أدركته العين فهو جسم ، ولو قلنا إن رؤية الله ممكنة للزم الأمر أن يكون الله تعالى جسما - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

محمد : ولكن كيف يكون تفسير قول الله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . (٢٣،القيامة ؟

المدرس : نعم يا أبنائي .. إن هذه الآية لا تدل على أن أحدا يرى الله ..

فمعنى (**ناضرة**) الأولى تعني أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون في **غاية الحسن والجمال** لما يظهر عليها من البشر والراحة والسرور .

و(**ناظرة**) في الثانية بمعنى منتظرة ، فيكون معنى الآية **أن وجوه المؤمنين جميلة مستبشرة تنتظر حلول رحمة الله بأمره بإدخالهم إلى الجنة .**

عبدالله :وهل يطلق النظر بمعنى الانتظار ؟!

المدرس : نعم يا عبدالله .

أما سمعتم ما قال الله في سورة النمل على لسان الملكة بلقيس بعد أن أرسلت بالهدايا إلى سليمان لقد قالت : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾٣٥،) النمل فقالت **(ناظرة)** وهي تقصد : منتظرة.

.. وأيضا في قوله تعالى ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾(٢٨٠) البقرة أيضا بمعنى الانتظار .

فهل أدركتم يا أبنائي أنه لا يجوز لنا أن نعتقد أن الله يُرى في الدنيا والآخرة .. وإلا للزم أن يكون كسائر المحدثات - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأحب أن أقرأ إليكم يا أبنائي كلاماً **لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله -** ذكره في كتابه **الحق الدامغ** قال: (إنك تجد في كتاب الله ما وعد به المؤمنين في الدار الآخرة من النعيم مذكورا بأصرح العبارات، ومكررا في مواضع شتى لأجل التشويق إليه ، بينما لا تجد للرؤية ذكرا إلا ما يتأوله مثبتوها من لفظ الزيادة وأمثالها وهو لم يذكر إلا مجملا فهل ترى من المعقول - أن لو كانت الرؤية ثابتة وهي أجل من كل نعيم في الجنة - أن يكتفي بمجرد هذه الإشارة الطفيفة إليها بينما تذكر المآكل والمشارب والمساكن و المناكح والحدائق والأنهار وسائر المباهج والملذات الفينة بعد الفينة بعبارات واضحة لا تحتمل التأويل ؟)

ومع اقتراب موعد الامتحان دخل مدرس العقيدة وفي يديه كشف كان قد أعده وقدّر فيه الدرجات التي سيحصل عليها كل طالب بعد أن يختبروا مادة العقيدة .. وبعد أن دخل الفصل وألقى التحية على طلابه .. جعل يذكر اسم كل واحدٍ منهم ويذكر درجته .

محمد : كيف وضعت لنا هذه الدرجات ونحن لم نمتحن بعد ؟!

المدرس : يا أبنائي لقد عشت معكم هذه الفترة فعرفت كل واحد منكم .. ومدى فهمه وقدرته على الاستيعاب .. فوضعت هذه الدرجات على حسب تقديري و معرفتي بمستوى كل واحد منكم .. وسأرى بعد الامتحان ما إذا كانت الدرجات التي ستحصلون عليها مطابقة لما توقعته أم لا ؟

❁❁❁

وفي يوم الامتحان اشتغل كل طالب بالإجابة على أسئلة الامتحان فلما انتهى الزمن المحدد للإجابة سلموا أوراقهم للمراقب .

.. وبعد أن أنهى الطلاب امتحاناتهم .. وتم تصحيح الامتحانات

.. دخل عليهم مدرس العقيدة وهو يحمل كشفين الكشف الذي توقعه قبل الامتحان .. والكشف الذي وضعت فيه درجات الامتحان على ضوء إجابات الطلاب .

المدرس : أرجو من كل طالب أن يأخذ قلمه ويسجل درجته التي كنت قد توقعت أن يحصل عليها في الامتحان ودرجته التي حصل عليها فعلا .

.. وما إن أكمل المدرس قراءة الدرجات حتى صاح الطلاب : يا سبحان الله !! .. لقد تحقق ما توقعته لنا يا أستاذ من الدرجات ولا توجد سوى فوارق بسيطة جدا .

المدرس : يا أبنائي .. هل أنا بعلمي بمستوياتكم قد أجبرت أحدا منكم على النجاح والآخر على الرسوب .

علي : إن علمك يا أستاذ لا يمكن أن يكون هو الذي قاد أحدنا إلى النجاح والآخر إلى الرسوب .. بل هي جهودنا ومذاكرتنا .

المدرس :أحسنت يا علي .. إذا يا أبنائي فقد لاحظتم أن علمي الضعيف المسبق بنتائجكم لم يكن ليجبر أحدا منكم على الرسوب أو النجاح .

وهكذا يا أبنائي هو **علم الله سبحانه وتعالى** بإيمان فلان أو كفر فلان فإنه لم يكن ليجبر أحدا على الكفر أو الإيمان .. وإنما العباد مخيرون بين الكفر والإيمان .. ولله المثل الأعلى .. وتعالى الله عما يقول الكافرون .

أما سمعتم أيها الأبناء قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (١٠) الشمس .

فقد اخبرنا الله في هذه الآية أن الله قد أرشد الإنسان إلى طريق الخير وحذره من طريق الشر .. فمن شاء زكى

نفسه بالعمل الصالح وسلك بها طريق الخير الذي نهايته إلى الجنة .. ومن شاء أهلك نفسه بالفجور والمعاصي وسلك بها طريق الشر الذي نهايته إلى النار .

لكن ما يجب أن تعرفوه يا أبنائي هو أن هناك فرق بين علم الله وتوقع الإنسان .. فتوقع الإنسان يصيب ويخطيء ، أما علم الله فإنه واقع لا محالة .. ألا تلاحظون أن الله تعالى قد أخبر عن أبي لهب أنه وزوجته من أهل النار ، ثم رأينا كيف أنهما ماتا مشركين في حين أنه لم يكن هناك ما يمنعهما من الإيمان .

محمد : عجبا يا أستاذ .. !! وهل هناك من يقول إن الإنسان غير مختار ؟!

المدرس : نعم يا محمد .. هناك من يقول إن الله يجبر الناس على الإيمان والكفر .

محمد : وهل يمكن أن يرغم الله أحدا على الكفر وقد نهاه عنه.... ثم يعذبه .. ؟! .. إن هذا محال يا أستاذي .. إنه الظلم بعينه والله يقول : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت ٤٦) فالله عدل لا يمكن أن يظلم أحدا .

المدرس ...وهو ينظر إلى محمد في إعجاب :

زادك الله يا محمد علما وعملا .. وإني لأرجو أن تكون من الهداة المهتدين في هذه الأمة .

محمد : إن شاء الله .. فكم أرجو أن أكون أنا وزملائي دعاة إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة .

... لم ينه محمد يومه الدراسي حتى أخبره رئيس المركز أن أباه قد اتصل به وطلب منه أن يأتي إلى البيت لأمر مهم .

.. كان محمد قد أنس بالبقاء مع زملائه ومدرسيه في المركز ولكنه كان قد أقلقه اتصال أبيه .

.. فاستأذن للذهاب إلى بيته ...

.. فلما اقترب من قرب منزلهم رأى أناسا مجتمعين أمام منزلهم .. فأسرع إليهم وقد أشتد قلقه .

محمد : ما الأمر ؟ .. أين أبي ؟ .. هل حدث لأحد مكروه؟

أحد الجيران: هدئ من روعك يا ولدي .. فأبوك بخير ..

محمد : وأين إخوتي وأمي ؟

الجار : كل أهلك بخير ليس هناك سوى أخيك سالم به جروح خفيفة بعد أن صدمته سيارة .

محمد : ولكن أين أبي .. لماذا لا أراه ؟ .. أين ذهب ؟

ودخل إلى البيت فاستقبلته الأم وقالت له : أدخل يا ولدي وضع أدواتك وأنا أقص عليك القصة .

.. جلس محمد وجعل يستمع إلى أمه ..

أم محمد:أنت تعرف يا محمد ذلك الرجل الذي يسكن نهاية هذا الشارع .. لقد كان بالأمس يقود سيارته ويمشي بها بسرعة مذهلة .. وعند رجوع أخيك ووالدك من السوق فصدم أخاك سالما بسيارته .

.. فصاح أبوك في وجه الرجل وقال له : هل أنت مجنون حتى تسرع هذه السرعة في هذه الشوارع الضيقة .. ؟!!

.. فأقبل هذا الرجل في كبر وتعال وضرب أباك على رأسه وهو يقول : أمثلك يقول لي مجنون .

محمد : وأين أبي الآن يا أمي ؟

أم محمد: سيعود يا ولدي بعد قليل .. إنما ذهب مع بعض أعمامك ليدلي بأقواله في قسم الشرطة .

وفي تلك اللحظة سمع محمد طرقاً على الباب .. فقام من مكانه .. وتوجه لفتح الباب .

محمد : أهلا بك يا عبد الرحمن تفضل .. تفضل .

عبد الرحمن : متى عدت يا محمد ؟

محمد : وصلت قبل لحظات .

عبد الرحمن : كيف أخوك وأبوك يا محمد ؟

محمد : الحمد لله على كل حال .. تفضل اجلس ..

.. وجلس **عبد الرحمن** وهو يقول: هكذا هو القدر .. إذا قدر الله شيئا فلا بد أن يقع .

محمد : ماذا تعني يا عبد الرحمن ..؟ أتعني أن الله قدّر على أخي أن يُصدم .. وعلى أبي أن يُضرب على رأسه.

عبد الرحمن : نعم يا محمد .. ؟ فيجب أن نؤمن بالقدر خيره وشره ...

.. لم يكمل عبد الرحمن كلامه حتى سمعا الباب يطرق للمرة الثانية .. فأسرع محمد لفتح الباب .. وغمرت نفس محمد البهجة حين رأى ما لم يكن في الحسبان .. لقد كان الذي خلف الباب هو رئيس المركز ..ومعه مدرس العقيدة وبعض زملائه .. فأقبل يصافحهم بحرارة .

محمد : أهلا بكم وسهلا هيا تفضلوا بالدخول .

– شكرا .. شكرا يا محمد .. كيف حال أبيك وأخيك ؟

محمد : ومن أخبركم بما حدث ؟!

مدرس العقيدة: لقد علمنا بما حدث بعد ذهابك .. فقررنا أن نلحق بك لنكون إلى جوارك في محنتك .

محمد : أشكركم .. وجزاكم الله خيرا .. ثم التفت إلى زميله عبد الرحمن - قائلا : أعرفكم على جارنا عبد الرحمن ..

.. وبعد التعارف حكى محمد لمدرس العقيدة الحوار الذي كان بينه وبين عبد الرحمن ..

مدرس العقيدة: يا عبد الرحمن .. أنا معك أنه يجب أن نؤمن بالقدر خيره وشره ، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الإيمان أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن نؤمن باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره...

وأيضا كما نص حديث عبادة بن الصامت الذي قال له النبي ﷺ **(إنك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله)** قال : قلت يا رسول الله ؛ كيف لي أن أعلم خير القدر وشره ؟ قال : « **تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، فإن مت على غير ذلك دخلت النار** » الجامع الصحيح - رقم (٧٢).

وذلك كله مدلول عليه بدلائل القرآن ، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾١٧ الأنعام .

عبد الرحمن : فأفعالنا هذه التي نقوم بها .. هل هي منا أم من الله ؟

مدرس العقيدة: إن للإنسان من فِعلِهِ - خيرا كان أو شرا- جانب الكسب دون الخلق ، وأنه على كسبه يترتب ثوابه وعقابه ، أما الخلقُ فالله تعالى وحده خالق كل شيء ، وتندرج في ذلك أفعال العباد فإنها من بين الأشياء في عموم (كل شيء) في قوله تعالى ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(١٠٢ الأنعام) وقال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ الصافات.. وهذا لا يعني أنه لا أثر لإرادة الإنسان في فعله فإن الإنسان له جانب الكسب منه وإنما الخلق لله سبحانه وتعالى ، وليس اكتسابه لما يكتسب أمرا اضطراريا فإنما يكتسب ما توجهت إليه إرادته ، وكل أحد يدرك الفرق بين ما يقع اضطراريا وما يحدث له اختيارا ، فحركته الاضطرارية كالرعشة والنبض وغيرهما هي غير الحركة التي تكون بتحريك مقصود من الإنسان كحركة المشي الاختياري وتناوله الطعام والشراب ودفعه ما يُريد دفعه وأخذه ما يريد أخذه .

عبد الرحمن : إذاً يا أستاذ من أتى خيرا أو شرا فهو مختار في فعله ؟

مدرس العقيدة: نعم يا أبنائي إن من أتى خيرا أو شراً فهو مختار في فعله ، غير مكره على ارتكاب أي منهما وإنما سبق علم الله تعالى - وهو سابق على كل شيء - بما يختار منها ، فجرى بذلك قلم قضائه في الأزل ، ولا تبديل لكلماته ولا معقب لحكمه.

عبد الرحمن : أستغفر الله .. أستغفر الله ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٤٦ فصلت) .

.. عاد الجميع إلى المركز بعد أن اطمئن محمد على أبيه وأخيه .

❁❁❁

وصل الجميع المركز ... وبداية يوم جديد .. دخل مدرس العقيدة الفصل .

المدرس : يا أبنائي اليوم سنأخذ درسا جديدا بعنوان الشفاعة الأخروية

عمار : وهل صحيح يا أستاذ أن رسول ﷺ قال :(**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) .

المدرس : إن مثل هذا القول لا يمكن أن يكون صادرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فالرسول أتى ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. وهذا القول فيه دعوة إلى فعل المنكرات واقتراف المعاصي.

فهل ترون يا أبنائي .. أن الله يقول في كتابه ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٩٠ النحل .. ثم يأمر رسوله أن ينادي في الناس أنه يشفع لمن خالف أمر الله .. فزنى وسرق وشرب الخمر وقتل النفس المحرمة.

زيد : **إن هذا محال على الله ورسوله .. نستغفر الله مما يقول الجاهلون .**

المدرس : وما روي عن جابر بن زيد رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - :(ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي) الجامع الصحيح - رقم (١٠٠٤) طـ١ - ص٢٧٩ ، يحلف جابر عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة لأن الله قد توعد أهل الكبائر في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. والأدلة في القرآن الكريم هي :

١- قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ٢٨الأنبياء)

٢- قوله تعالى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾٨٧، ز(مريم)

٣- قوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ١٨، غافر)

٤- قوله تعالى :﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾٤٨ المدثر

٥- قوله تعالى :﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤٨، البقرة

٦- قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ الشعراء.

٧- قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ٢٣ الجن

المدرس : والأدلة في السنة النبوية هي :

١- قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر) مسند أحمد بن حنبل - رقم (٦٧٤٦)

٢- قوله ﷺ : (من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة) صحيح مسلم - كتاب الأشربة- رقم (٣٨٥١).

٣- قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة نمام وفي رواية(قتات) صحيح مسلم - كتاب الإيمان- رقم (١٨٠).

٤- قوله ﷺ : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة حرام عليه) الجامع الصحيح - رقم (١٠٠٢) ط١ - ص٣٧٩

٥- قوله ﷺ : (لا تنال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه) .أخرجه البخاري في كتاب المغازي - رقم (٤٣٢٥) - ص ٧٣٢

٦- قوله ﷺ : (لا تنال شفاعتي سلطانا غشوما للناس ورجلا لا يراقب الله في اليتيم) . الجامع الصحيح - رقم (١٠٠٢) ط١ - ص٣٧٩

وغيرها الكثير من الآيات والأحاديث .

محمد : إذاً يا أستاذ يتبين لنا أن الشفاعة تكون للمؤمنين المتقين من رضي الله سبحانه وتعالى عنهم .. ولكن كيف تكون هذه الشفاعة يا أستاذ ؟.

المدرس : أحسنت يا محمد على هذا السؤال .. يا أبنائي تكون الشفاعة للمؤمنين **لرفع درجة في الجنة** أو **تعجيل دخول الجنة** بعد الوقوف للحساب .

محمد : لقد قرأت يا أستاذ **أن أصحاب المعاصي يخرجون من النار**

المدرس : وهل تصدق يا محمد بأن العاصي سيكون من أهل الجنة لينعم فيها بالطيبات ؟ .

محمد : لا أصدق يا أستاذ .. لكنهم يستدلون لذلك بحديث عن رسول الله .

المدرس : هون عليك يا محمد .. إن من يقول بخروج أهل المعاصي من الزناة والقتلة وأصحاب الجرائم .. إنما قالوا مثل هذا القول ليرضوا الأمراء والسلاطين ممن كانوا يفعلون مثل هذه المنكرات .

محمد : هل يقصدون أنهم يبقون فترة في النار ثم يدخلون الجنة بعد ذلك .

المدرس :إ نهم يعتقدون أن من يفعل الجرائم من أمة الإسلام .. يفعلها ولا زال في قلبه ذرة من إيمان فيعتقدون أن إيمانه هذا هو الذي سيخرجه من النار ويدخله الجنة ... ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كذب ادعائهم هذا ..

بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .. فإذا فعل ذلك أُنتزع الإيمان من قلبه .. فإن تاب تاب الله عليه**» ..(صحيح مسلم رقم(١٠٤) فإن هذا الحديث يخبرنا أن مرتكب الكبيرة قد انتزع الإيمان من قلبه .

.. وإني يا محمد كلما سمعت مثل هذا القول ذكرت قول أهل الكتاب سابقا .. فما أشبه هذا القول بقولهم .

محمد : وماذا يقول أهل الكتاب ؟

المدرس : أو ما سمعت يا محمد قول الله تعالى في سورة البقرة .. حاكيا عن أهل الكتاب .

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ ٨١ البقرة .. فأخبرهم أن من دخل النار فهو خالدٌ فيها ...

وهناك أدلة كثيرة يا أبنائي تدل على خلود العاصين أصحاب الكبائر في النار زيادة على الأدلة التي ذكرناها في الشفاعة الأخروية .. ومن تلك الأدلة من القرآن الكريم :

١- قوله تعالى في **آكلي الربا** : ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢٧٥، (البقرة)

٢- قوله تعالى في **العصاة** : ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِين﴾ (١٤، النساء.

٣- قوله تعالى في **من قتل مؤمناً** :﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ٩٣،النساء .

٤- قوله تعالى في **الفجار** : ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ ١٦الانفطار

٥- قوله تعالى في **الفساق**:﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون﴾ ٢٠،السجدة

وأما من السنة النبوية فكثير من الروايات الصحيحة يا أبنائي تدل على الخلود لأهل الكبائر .. نقتصر على بعض منها :

١- روى البخاري ومسلم وغيرهما من طريق ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت كل هو خالد فيما هو فيه)

٢- أخرج البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال :(من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة) .

٣- وروى الإمام الربيع في مسنده عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ قال : (من اقتطع حق مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار) فقال رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : (وإن كان قضيبا من أراك)

٤- أخرج الشيخان وغيرهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا)

٥- أخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون فيها عدد كل حصاة لحزنوا ، ولكن جعل لهم الأبد)

والروايات كثيرة يا أبنائي في ذلك تارة تدل على الخلود بالنص عليه وتارة بالجمع بينه وبين التأبيد وأخرى بالتوعد بحرمان الجنة أو حرمان شم ريحها ومحصلها واحد وإن اختلفت ألفاظها .

ومن أمعن النظر يا أبنائي في أحوال الناس يتبين له أن اعتقاد انتهاء عذاب العصاة إلى أمد ، وانقلابهم بعده إلى النعيم وبالعفو عن أهل الكبائر جرّأ هذه الأمة - كما جرأ اليهود من قبل - على انتهاك حرم الدين ، والتقصي عن قيود الفضيلة ، والاسترسال وراء شهوات النفس واقتحام لجج أهوائها .

وأحب أن أخبركم يا أبنائي عن مقالة ذكرها **سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي - يحفظه الله - في كتابه الحق الدامغ قال :** (ولست أنسى ما قاله لي الداعية الكبير العلامة المنصف الشيخ عبد المعز عبد الستار : «**لو أن الأمة أخذت بعقيدتكم في خلود صاحب الكبيرة في العذاب ، لكان لها شأن في الصلاح والاستقامة والنزاهة والعفاف غير ما نراها عليه**»

عمار : يا أستاذي عندي سؤال أخير ما هو مصير العاصين المذنبين الذين تابوا قبل الموت ؟

المدرس : يا بني إن الذي يفعل المعاصي ويذنب ولم يمت على ذلك بل تاب إلى الله توبة نصوحا قبل أن يموت يغفر الله له .. كما قال المولى سبحانه ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾٨٢) طه ...

وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٥٣ـ الزمر ولكن المهم يا أبنائي أن تكون التوبة صادقة وأن يكون عازما على ألا يعود إلى الذنب ... وهنا يا أبنائي آية أعظم في المعنى وهي أن العبد متى تاب وأتبع التوبة بالإيمان والعمل الصالح أبدل الله تلك السيئة حسنة قال سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ٧٠ـ الفرقان) .. وقول الرسول ﷺ (الذنوب على وجهين : ذنب بين العبد وربه وذنب بين العبد وصاحبه فالذنب الذي بين العبد وربه إذا تاب منه كان كمن لا ذنب له وأما ذَنبٌ بينه وبين صاحبه فلا توبة له حتى يرد المظالم إلى أهلها) (الجامع الصحيح رقم الحديث ٦٩١) .. وأيضا يا أبنائي إن الله يحب العبد التواب الأواب كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾٢٢٢ـ البقرة

واقترب وقت نهاية المركز الصيفي بعد قضاء شهرين كاملين في المركز .. وجاءت فترة الاختبارات وانتهت بحمد الله تعالى .. واستعد الجميع للرحيل إلى قراهم ... وصمت الجميع وجعل كل منهم ينظر إلى زملائه ومدرسيه وكأن كل فرد منهم يقول : **وكيف نصبر على فراقكم ؟ !!**

ودنت لحظات الرحيل ..

وأعد كل طالب حقيبة سفره ليعود بالنور والمعرفة إلى أهله وأبناء بلده .

ولكن **أيهم يستطيع أن يرحل من رحاب هذا المركز .. إن القلب صار مِلكا لكل هؤلاء ... للمدرس .. والطالب .**

فما رأيكم يا أبنائي **أن نحمل هذا الحب والود .. إلى بلداننا لنعلمه للناس كما نعلمهم العلم والمعرفة .**

فما من شك **أن أمتنا بحاجة ماسة إلى دروس تتعلم فيها الحب والتآخي ..**

❁❁❁